الشُّعَرَاءُ الجَاهِلِيُّونَ فِي دِيوانِ ابنِ الرُّومِي
قراءة في البنية والدلالة

إعـداد الدكـتور

عبدالعزيز بن عبدالله بن صالح أباالخيل

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها

في كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

في جامعة القصيم

الخلاصة:

الشُّعَرَاءُ الجَاهِلِيُّونَ فِي دِيوانِ ابنِ الرُّومِي

قراءة في البنية والدلالة

– إن ابن الرومي يعدّ الشاعر الجاهلي (أنموذجاً) يحتذى به على مستوى الخصال الكريمة والأفعال النبيلة، وقد تجلى هذا في ذكره مجموعة من أعلام الشعر الجاهلي للتعبير عن تلك الخصال والأفعال، كما أنه يرى أن شعرهم يعد مثالاً أنموذجياً في التعبير عن المعنى الذي يريده، ولذلك جاء التناص معه في شعره عبر أكثر من صورة، وفي هذا دلالة على أنه يعطي هذا التعبير الجاهلي مكانة وقيمة، بحيث يراه الطريقة الأمثل أحياناً في التعبير عن فكرته ومراده، وبالتالي فإن ابن الرومي حينما يُورد أسماء الشعراء الجاهليين فإن له مآرب شتى وغاياتٍ عديدة من إيراده أسماء بعض الشعراء الجاهليين؛ فقد يأتي الشاعر بأسماء مجموعة من الشعراء الجاهليين الفحول؛كي يُبرهن على أن ما قاله أولئك الشعراء من مديح فهو لممدوحه فحسب؛ نلحظ ذلك في قصيدته التي هنّأ فيها عبيد الله بن عبد الله بأحد المهرجانات، وربما يأتي باسم الشاعر الفحل من باب إعلان التفوّق أو المفاخرة عليه؛حيث صنع ذلك أكثر من مرة؛ منها حين افتخر تارة على نفطويه، وتارة أخرى على العزير، وتارة ثالثة على علي الأخفش، وقد يأتي ابن الرومي باسم الشاعر الجاهلي الفحل؛كي يقرّر بأن أحداً من ممدوحيه قد يوازي ذلك الشاعر وربما يضاهيه؛ نجد ذلك واضحاً في أبيات مدح فيها الشاعر الأعجمي ابن المسيب، أو أبيات مدح فيها الشاعر دعبل الخزاعي والنحوي عبد الله الخطابي.

Abstract :

Poets of ignorance in the Office of Ibn al - Roumi

Reading in structure and significance

- The son of the Rumi is a pre-Islamic poet (model) to be emulated on the level of noble qualities and noble deeds, and this was manifested in the mention of a group of flags of pre-Islamic poetry to express those qualities and actions, and he believes that their hair is a typical example in the expression of the meaning he wants, Therefore, Ibn al-Roumi, when he mentions the names of the pre-Islamic poets, has many different purposes and aims from which he is able to express his opinion and intention. The names of some poets The poet may come with the names of a group of ignorant poets, to prove that what is He said that in his poem, in which he congratulated Ubaydullah bin 'Abd Allah on one of the festivals. He may have come in the name of the poet al-Fahel from the door of proclaiming superiority or bragging about it. He did it more than once; , And sometimes another on the Azzir, and a third on the hidden, may come Ibn al-Roumi name of the poet ignorant Fahl; to decide that one of his Mddih may equal the poet and perhaps similar; we find this clear in the verses praising the poet Ajami Ibn al-Musayyib, or verses of praise in it Poet Dabal Khuzaie and grammar Abdullah Al - Khattabi.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن لابن الرومي منزلة عالية ومكانة مرموقة في الشعر العربي، ولعلي لا أبعد النُّجعة إن قلت: إنه من أشهر شعراء الوصف في أدبنا العربي، زد على ذلك تميّزه في الأغراض الشعرية الأخرى؛ كالمديح، والغزل، والرثاء، وكذا الهجاء القائم لديه على التصوير.

وسيكون حديثي في هذه الوريقات عن حضور الشعراء الجاهليين اسماً ونظماً في قصائد ابن الرومي ومقطوعاته، ويحسن بي أن أشير إلى أن أبرز الصعوبات التي واجهتها في بحثي هذا هو ضخامة ديوان ابن الرومي؛ حيث إنه من أضخم دواوين شعرائنا القدامى، زد على ذلك أن لديوانه نخبة لا بأس بها من المحققين والدارسين والشارحين.

علماً بأنني سأجعل المبحث الأول في ورود أسماء الشعراء الجاهليين في شعر ابن الرومي، في حين قصرتُ المبحث الثاني على ما احتوته قصائد ابن الرومي من اقتراضات شعرية جاهلية تحت عدة مسميات بلاغية؛ كالتضمين، والتلميح، ولا بد من التنبيه على أنني لن أعرّف إلا بالشعراء الجاهليين أو المخضرمين ممن هم داخل في محور حديثي هذا.

أما مخطط هذا البحث؛ فقد مهّدتُ فيه بحديث عن ابن الرومي وديوانه، ثم قسّمتُ هذا العمل إلى مبحثين:

جعلتُ المبحث الأول: (التعريف بالعلَمية)؛ وفيه تناولت حديث ابن الرومي عن الشعراء الجاهليين بوصفهم أعلاماً، وقد جاءوا على النحو التالي:

أولاً: أعلام الفحولة الشعرية.

ثانياً: أعلام الكرم.

ثالثاً: أعلام الشجاعة والفروسية.

رابعاً: أعلام الوفاء.

خامساً: أعلام الغيبة واليأس من الرجوع.

سادساً: أعلام العفو والصفح.

سابعاً: أعلام الحكمة.

في حين جعلتُ المبحث الثاني: (التناص اللغوي)؛ وفيه تناولت التقاطع النصي في شعر ابن الرومي مع الشعراء الجاهليين، وقد جاء في ملمحين:

أولهما: التضمين.

وثانيهما: التلميح.

وقد ختمت هذا البحث بخاتمة أوجزت فيها دلالات حضور الشعراء الجاهليين عند ابن الرومي، وفيها أشرت إلى أبرز ما توصلتُ إليه من نتائج وتحليلات عن تلك الدلالات.

ختاماً؛ لا أزعم أنني أوفيت هذا البحث حقه، أو أنني قد قلت الكلمة الأخيرة فيه، أو أنني أتيتُ على ذكر ابن الرومي لكل الشعراء الجاهليين، بل هي محاولة عجلى ودراسة انتقائية أرجو أن تكون لبنة من لبنات ما سيأتي من بحوث في المستقبل القريب؛ بإذن الله-تعالى-.

مدخل

ابن الرومي وديوانه:

هو أبو الحسن عليّ بن العباس بن جريج، وقيل جُورجيس، روميّ الأصل، حيث كانت ولادته من أب رومي وأم فارسية[1]، لكنه عربيّ النشأة والولادة، أما أصله فيوناني؛ يشهد بذلك اسم جده، وقد نسب نفسه في شعره إلى اليونان تكراراً ومراراً؛ يقول مفتخراً بأمجادهم وقوتهم:

ونحن بنو اليونان قوم لنا حِجى ومجدٌ وعيدانٌ صلاب المعاجمِ

وحِلمٌ كأركان الجبال رزانةً وجهلٌ تفادى منه جِنُّ الصرائمِ

وما تتراءى في المرايا وجوهُنا بلى في صفاح المرهفات الصوارمِ[2]

لكنه قد يسميهم الروم أحياناً:

مولاهم وغذيُّ نعمتهم والروم حين تنصّني أصلي[3]

وكان كثير الافتخار أيضاً بأصوله الرومية وخئولته من الفرس معاً، ويعدُّ اجتماع الأصلين له من دواعي المباهاة؛ يقول في ذلك:

---

[1] ديوان ابن الرومي، شرح وتحقيق: عبدالأمير علي مهنا، دار الهلال، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ٦/١.

[2] ديوان ابن الرومي، تحقيق: د.حسين نصار، مطبعة دار الكتب، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، نشر: وزارة الثقافة المصرية، د.ط، ٢٢٧٢/٦.

[3] ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ١٠٦/٣.

وكيـــف أغضـــي علـــى الدنيّـــة وال فـــرس خئـــولي والـــروم أعمـــامي[1]

ومن ذلك قوله مباهياً بأصله اليوناني من جهة أبيه، والساساني (الفارسي) من جهة أمه:

إن لـم أزر ملكـاً أشـجى الخطـوبَ بـه فلـم يلـدني أبـو الأمـلاكِ يونـانُ

بـل إن تعـدَّتْ فلـم أُحْسِـن سياسـتَهَا فلـم يلـدني أبـو السُّـوَّاسِ ساسـانُ[2]

أما صفاته الخَلقية؛ فقد كان ضئيلاً نحيلاً دميم الوجه، وظل طوال حياته ينعى نفسه دقة جسمه وضآلته، وقبح وجهه ودمامته، وصلعه الذي كان يأخذ معظم رأسه إلى أن اضطر ألا يخلع عمامته أبداً، وقد بادر إليه الشيب في شبابه سريعاً؛ فاعتلّ جسمه، وضعف نظره، ونقص سمعه، وكان مولده يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رجب سنة إحدى وعشرين ومائتين للهجرة، أما وفاته فقد كانت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين للهجرة، وقيل سنة أربع وثمانين[3].

١ديوان ابن الرومي، تحقيق: د.حسين نصار، ٢٣٥٦/٦.

٢السابق، ٢٤٢٥/٦.

٣ انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠م، ٣٥٨/٣. وديوان ابن الرومي، تحقيق: د.حسين نصار، ٧/١. وتاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٧٥م، ص٢٩٦ وما بعدها. وابن الرومي، حياته من شعره، عباس محمود العقاد، دار =

وحين يأتي الحديث عن موضوعات شعره؛ فهي موضوعات متفرقة عن الحياة وشرورها، وعن طبقات المجتمع والأصناف التي عليها الناس وحرفهم وملابسهم وأشكالهم، وعن وصف الأطعمة والأشربة بالتفصيل الدقيق البارع غير المسبوق، وعن متع الحياة وأشكال الطبيعة، وعن طبائع الناس، وعن النساء وأخلاقهن، وعن الطرد والقنص، وعن المسرّات والآلام[1].

أما نَظْم ابن الرومي فقد كان مجيدًا في معظم الأغراض الشعرية التي تطرَّق إليها؛ كالرثاء، والعتاب، والغزل والمديح والهجاء... لكنه -أبدع أيما إبداع- في غرض الوصف على تعدّد أنواعه؛ كوصف الطبيعة، ووصف مجالس الأنس والمغنين والمغنيات، ووصف ألوان الطعام والفاكهة، إضافة إلى تسجيل جميع الوقائع التي مرت به في حياته، فما مرَّ به حدثٌ أو شخصٌ ذو شأن في حياته

=الكتاب العربي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٦٨م، ص٨٩. وابن الرومي حياته وشعره، روفون جست، ترجمة: د.حسين نصار، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ص٦٤-٧٥. وقد قيل في سبب وفاته: إن القاسم بن عبدالله الوزير كان يخاف من هجاء ابن الرومي له؛ ونجم عن ذلك أن دسّ عليه مَنْ أطعمه خشكناكة مسمومة، فأحسّ بالسم؛ فوثب، فقال الوزير: إلى أين؟ قال ابن الرومي: إلى موضع بعثتني إليه، قال: سلّم على أبي، قال: ما طريقي على النار! فبقي أياماً ومات. وللاستزادة حول هذا الموضوع انظر: سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ٤٩٦/١٣. وإن كان العقاد يشك في أصل هذه الحادثة؛ انظر: ابن الرومي، حياته من شعره، ص٢٢٤- ٢٢٦.

١انظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص٣١٢.

إلا وجدت اسمه في ديوانه ممدوحاً أو مهجوّاً أو موصوفاً أو مردوداً عليه[1]، ولا نعجب حينما يصفه المرزباني -في معجمه- بأنه أشهر أهل زمانه بعد البحتري، وأكثرهم شعراً، وأحسنهم أوصافاً، وأبلغهم هجاءً، وأوسعهم افتناناً في سائر أجناس الشعر وضروبه وقوافيه، ويركّب من ذلك ما هو صعب متناوله على غيره[2].

وعلى الرغم من ذلك كله فقد كان معظم شعره في غرضي: المديح والهجاء، وقد تميّز مديحه بطول نَفَس القصيد، وخصص معظمه في آل طاهر وآل وهب، وبسبب تقلب مزاجه، وفقدانه للثبات الانفعالي غالباً؛ ربما تحوَّل مديحه إلى هجاء!

أما هجاؤه فهو فنُّه الذي لا يُبارى فيه، وقد اتخذ لونين: لوناً قاتماً؛ كله إقذاع وسبٌّ وهتك للأعراض، ولوناً زاهياً؛ ينحو فيه منحى السخرية والإضحاك[3]، ومعظمه في إسماعيل بن بلبل؛ الذي كان يشغل منصب رئيس الضياع في سامراء[4].

١انظر: ابن الرومي حياته من شعره، ص٦٩-٧٠.

٢انظر: معجم الشعراء، المرزباني، تحقيق: د. فاروق أسليم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص١٨٣.

٣ انظر: ديوان ابن الرومي، تحقيق: د.حسين نصار، ٢٠/١. وابن الرومي حياته من شعره، ص١٩١-١٩٣. وتاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص٣١٤-٣١٦.

٤انظر: كل ما قاله ابن الرومي في الهجاء، د.نازك سابا يارد، دار الساقي، لندن، ١٩٨٨م، ص١٥.

بقي أن أُشير إلى أن العلامة البارزة في قصائد ابن الرومي هي طول نَفَسه، وشدة استقصائه المعنى، واسترساله فيه، إضافة إلى استطراده أيضاً؛ مماجعله يُهمل اللفظ أحياناً[1].

كما أن مما يميز شعره هو مزجه في تصاويره بين الواقع والخيال؛ حيث إنه ينقل المرئيات والمسموعات نقلاً أميناً مثلما تفعل عدسة المصور، ثم يستنبطها بخياله المجنح؛ فيولّد منها صورة جديدة، ويجعل لها أبعاداً فكرية ونفسية وجمالية قد تُضخّم المنقول الأصلي.

ومن خصائص فنه التصويري كذلك أنه كان دقيق الملاحظة؛ حيث كان يُلبس المعنوي لباس الآدمي، ويتعمّق في ملاحظة المحسوسات، ويعتمد على الدقة الموحية بالواقع، كما أنه قد يستقصي المعنى الواحد بتفريعات متماسكة ومطردة منطقياً[2].

ومما تميّز به عن غيره من الشعراء ليس قدرته على خلق الأشكال للمعاني المجردة فحسب؛ بل البراعة في نقل الأشكال الموجودة كما تقع في حس القارئ أو السامع وشعورهما وخيالهما؛ مصوّراً اللون والشكل والمعنى والحركة، وهي ما تسمى بالتصوير المطبوع[3].

---

١ انظر: ابن الرومي، حياته من شعره، ص٢٧٣.

٢ انظر: ابن الرومي، أحمد خالد، الشركة التونسية، تونس، ١٩٧٧م، د.ط، ص٣٠-٣١. وفي كتاب: ابن الرومي في الصورة والوجود، خصص الدكتور علي شلق فصلاً كاملاً لرسومات ابن الرومي وإبداعاته، وقد عنونه بـ(معرض ابن الرومي).

٣انظر: ابن الرومي حياته من شعره، ص٢٥٨.

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا: إن شخصية لم تجتمع لها طائفة من المتناقضات مثل شخصية ابن الرومي؛ حيث إنه "رجل غريب الأطوار والأدوار، لا يستقر على حالة واحدة من حالات النفس المستقرة الثابتة، تراه يمدح اليوم إنساناً ثم لا يلبث أن يذمَّه غداً، وتراه يمدح هذا الزهر أو هذه الفاكهة اليوم ثم لا ينفك أن يذمَّها بعد اليوم"[1].

أما شعره فهو غير مرتب، وقد رواه عنه المسيبي[2]، وعمله أبو بكر الصولي الذي رتبه على الحروف، وقد جمعه أبو الطيب ورّاق بن عبدوس من جميع النسخ؛ فزاد على كل نسخة ما هو على الحروف وغيرها نحو ألف بيت[3].

ولديوانه عدة طبعات؛ منها:

١- طبعة القاهرة، سنة ١٩٢٢م، بشرح: محمد سليم شريف، وقد وصل إلى قافية الخاء أو الحاء.

٢- طبعة المكتبة التجارية الكبرى في القاهرة، سنة ١٩٤٢م، باختيار: كامل الكيلاني؛ وهي مختارات من قصائده.

٣- طبعة دار الكتب في القاهرة، سنة ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، بتحقيق: د.حسين نصار، وهي الطبعة المعتمدة في هذا البحث.

---

١ ابن الرومي، محمد عبدالغني حسن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠، ص٢٤.

٢ معظم الدارسين يرون أن ابن المسيّب هو راوية ابن الرومي، إلا أن الدكتور شوقي ضيف يزعم أن أبا عثمان الناجم هو راوية ابن الرومي. انظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص٣٠٨.

٣ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٣٥٨/٣.

٤-طبعة دار مكتبة الهلال في بيروت، سنة ١٤١١هـ-١٩٩١م، بشرح: عبدالأمير علي مهنا.

٥-طبعة دار الجيل في بيروت، بشرح: مجيد طراد، وقدري مايو، وغيرهما.

٦-طبعة دار الكتب العلمية في بيروت، سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، بشرح: أحمد حسن بسج[١].

١ وللاستزادة حول طبعات ديوان ابن الرومي؛ انظر: من أروع ما قاله ابن الرومي، إميل ناصيف، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٨. وديوان ابن الرومي تحقيق: د.حسين نصار، ٦/١. وتاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص٣١٢. وابن الرومي، حياته وشعره، ص٧٩-٨٢.

المبحث الأول: التعريف بالعلَمية

إنه لمن الواضح –عند تتبّع حديث ابن الرومي عن الشعراء الجاهليين– أنه يعدّهم الأنموذج المثالي الذي اجتمعت فيه الفضائل والخصال الكاملة، وقد ظهر هذا الأمر بشكل جلي في شكلين تعبيريين استخدمهما ابن الرومي في شعره، **أحدهما** تعداده لأعلام الشعر الجاهلي بوصفهم النماذج التي تُنسب إليها الفضائل والمكارم، **والآخر** هو التقاطع بين شعره والشعراء الجاهليين، وهو ما سيأتي في المبحث الثاني.

إنه يزعم –في بعض الأحيان– تفوق شخصه أو معاصريه في بعض الخصال والصفات على غيرهم، ولا يجد ما يقارن به هذا المتفوّق إلا أن يزعم تفوقه على عَلَم من أعلام الجاهلية، إنه يستدعي هنا شخصية الشاعر الجاهلي لتكون المثال الذي اتفق الجميع على تميزه بهذه الخصلة والصفة على الجميع، وفي هذا دليل على أنه يعد هذا الشاعر الجاهلي أنموذجاً متميزاً في هذه الصفة؛ بحيث يكون هو المعيار الذي تُقاس به صفات الناس وخصالهم.

هذا وقد جاء ذكر الشعراء الجاهليين –في ديوان ابن الرومي– في أكثر من عشرين موضعاً ما بين ورودهم اسماً، وورودهم نظماً؛ حيث إنه يُورد –في بعض تلك المواضع– اسماً لشاعرٍ أو أكثر من شاعر، وهذا ما سيكون عليه محور حديثي في هذا المبحث، كما أنه يورد بيتاً لشاعر أو بعض بيت، وهذا ما سأرجئه إلى المبحث الثاني من هذا البحث.

وقبل أن أدلف إلى صلب الموضوع لا بد من الإشارة إلى أن ورود أسماء الشعراء القدامى –في شعر الشعراء– ليس جديداً على الشعر العربي؛ فقد أورد

العديدُ من الشعراء في جميع عصور الشعر أسماء شعراء سابقين لهم في بعض قصائهم وأشعارهم، حيث سُبق ابن الرومي إلى ذلك؛ فهذا الفرزدق –على سبيل المثال– يذكر جملة من الشعراء الجاهليين والإسلاميين السابقين له في لاميته الشهيرة؛ ومنها قوله: [من الكامل]

وهب القصائد لي النوابغ إذا مضوا ... وأبو يزيد وذو القروح وجرولُ[1]
والفحل علقمة الذي كانت له ... حلل الملوك كلامه لا يُنحل[2]
وأخو بني قيس وهن قتلنه ... ومهلهل الشعراء ذاك الأول[3]
والأعشيان كلاهما ومرقش ... وأخو قضاعة قوله يُتمثل[4]
وأخو بني أسد عبيد إذا مضى ... وأبو دُؤادٍ قوله يُتنحّل[5]
وابنا أبي سُلمى زهير وابنه ... وابن الفريعة حين جد المقول[6]
والجعفري وكان بشرٌ قبله ... لي من قصائده الكتاب المجمَل[7]
ولقد ورثتُ لآل أوسٍ منطقاً ... كالسُّم خالط جانبيه الحنظل[8]

---

١ النوابغ: النابغة الذبياني، والنابغة الجعدي، ونابغة بني شيبان. أبو يزيد: المخبل السعدي. ذو القروح: امرؤ القيس. جرول: الحطيئة.

٢ علقمة: بن عبدة؛ المقلب بالفحل.

٣ أخو بني قيس: طرفة بن العبد. مهلهل: بن ربيعة، أخو كليب.

٤ الأعشيان: أعشى قيس، وأعشى باهلة. ومرقش: الأكبر؛ وهو عوف بن سعد بن بكر. أخو قضاعة: الطمحان القيني.

٥ أخو بني أسد: عبيد بن الأبرص الأسدي. ابن الفريعة: حسان بن ثابت.

٦ ابنا أبي سلمى: زهير بن أبي سلمى، وابنه كعب.

٧ الجعفري: لبيد بن ربيعة. بشر: بن أبي خازم الأسدي.

٨ آل أوس: أوس بن حجر.

والحارثي أخو الحِماس ورثتُه صَدعاً كما صدع الصفاةَ المعول[1]
يصدعن ضاحية الصفا عن متنها ولهن من جبلي عَماية أثفَل
دفعوا إليّ كتابهنّ وصيةً فورثتهن كأنهنّ الجندل
فيهن شاركني المساور بعدَهم وأخو هوازن والشآمي الأخطلُ[2]

ومن الجدير بالذكر أن ذكر أسماء شعراء سابقين في شعر الشعراء لم يكن مقصوراً على عصرٍ دون آخر، فقد تكرر الأمر في جميع العصور حديثها وقديمها، ومن ذلك أيضاً ما رُوي عن امرئ القيس -أمير الشعر الجاهلي- حينما ذكر الشاعر (ابن خذام[3])؛ وهو شاعر سابق لعصره، مما يُعدُّ شاهداً على ورود أسماء شعراء سابقين في شعر اللاحقين، يقول امرؤ القيس الكندي في ذلك:

عُوجا على الطلل المحيل لعلَّنا نبكي الديارَ كما بكى ابنُ خذامِ[4]

---

١ الحارثي: النجاشي.

٢ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م، د.ط، ٢/١٥٩-١٦٠. والمساور: بن هند العبسي. أخو هوازن: الراعي النميري.

٣ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م، ٤/٣٧٧-٣٧٨.

٤ابن خذام أو ابن حذام أو ابن حمام، وكلها أسماء لشاعر واحد انحرفت بالرواية والنسخ، ويُقال هو: امرؤ القيس بن حارثة بن خذام بن معاوية، ورغم اختلاف النقاد في نسبه؛ فهو من الشعراء السّابقين لامرئ القيس الكندي والمعروف في ذلك العصر بالبكاء على الديار وتذكُّر الأطلال، ورغم ورود اسمه لدى عدد من الشعراء إلا أن الباحثين لم يتوصّلوا إلى شيءٍ من شعره، وبالرغم من ذلك فقد وردت بعض الأبيات المتناثرة في = =كتب الأدب وقد نسبها بعضهم إليه، وللاستزادة راجع: الشعر والشعراء، ابن قتيبة،

وقد بات من المؤكد أن ورود أسماء شعراء سابقين أو بعضاً من أبياتهم أو أجزاء منها في قصائد شعراء آخرين لاحقين إنما يأتي لدلالات عدّة منها الخفي ومنها الجلي، وفي الأسطر القليلة القادمة محاولة لسبر أغوار بعض تلك الدلالات الخاصة بشاعرنا "ابن الرومي".

١- أعلام الفحولة الشعرية:

جاء معظم ذكر ابن الرومي للشعراء الجاهليين ضمن الحديث عن شعراء الفحولة؛ ونلحظ أنه سلك في ذلك طريقتين؛ **الأولى**: أن يُورد جملة من نخب أولئك الشعراء؛ فها هو يُورد -في قصيدة مدح فيها عبيدالله بن عبدالله بأحد المهرجانات- جملة من فحول الشعراء الجاهليين، وقد زعم فيها أن كل مديح قالته فحول الشعر-كامرئ القيس[1]، وزهير بن أبي سلمى[1]، والنابغة

تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٥٨هـ- ١٩٧٧م، ١/ ١٢٨. والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٢٨٢هـ، ٢/ ٤٥٦. وللبيت روايات عديدة منها:

عُوجا على الطلل المحيل لأنّنا نبكي الديارَ كما بكى ابنُ خذامِ

ومنها أيضاً:

عُوجا على الطلل القديم لعلَّنا نبكي الديارَ كما بكى ابنُ حمامِ

ومنها كذلك:

عُوجا على الطلل المحيل لأنّنا نبكي الديارَ كما بكى ابنُ حِذامِ

١ امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، الملك الضّليل، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، ولد بنجد، ومات في أنقرة سنة ٨٠ ق هـ، وله ديوان شعر مطبوع.

الـذبياني[٢]، وأوس بـن حجـر[٣]، وعبيـد الأبـرص[٤]- فإنمـا هـو لممدوحـه وحـده دون غـيره، وإن هـم لم يشـرفوا بلقيـاه، أو يُمتّعـوا نـاظريهم برؤيـاه؛ فمعظـم مـديحهم موجهٌ لشخصه دون غيره: [من الخفيف]

كل مدح قد قيل في النّاس قِدْماً ... لك فيه بحقّك الثلثانِ
وبهذا قضى لك الشعر شكراً ... لك يا خير قَيِّمٍ ومُعاني
فمديحُ الملوكِ في آلِ نصرٍ ... ومديح الملوك من غسَّانِ
ومديح الملوك من آل حربٍ ... ثم من بعدِهم بني مروانِ
ومديح الممدَّحين من النا ... سِ جميعاً في كلِّ حينٍ وآنِ

وللاستزادة انظر: معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، د.عفيف عبدالرحمن، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، د.ط، ص٣٠ وما بعدها.

١ زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رياح المزني، حكيم الشعراء في الجاهلية، ولد في بلاد مزينة في إحدى نواحي المدينة، توفي سنة ١٣ق هـ، وله ديوان شعر مطبوع. وللاستزادة انظر: معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص٢٠٢ وما بعدها.

٢ زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، شاعر من الطبقة الأولى، ومن أهل الحجاز، وهو أحد الأشراف في الجاهلية، توفي سنة ١٨ ق هـ، له ديوان شعر مطبوع. وللاستزادة انظر: معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص٣٥٨ وما بعدها.

٣ أوس بن حجر بن مالك التميمي، أحد أكبر شعراء قبيلة بني تميم، كان كثير الأسفار، وقد أكثر من إقامته عند عمرو بن هند في الحيرة، توفي سنة ٢ ق هـ، له ديوان شعر مطبوع. وللاستزادة انظر: معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص٣٩ وما بعدها.

٤ عبيد بن الأبرص من عوف بن جشم الأسدي من قبيلة مضر، شاعر ومن دهاة الجاهليين وحكمائهم، عمر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر وقد وفد عليه يوم بؤسه سنة ٢٥ ق هـ، له ديوان شعر مطبوع. وللاستزادة انظر: معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص٢٠٠ وما بعدها.

لك فيه دون الألى ورثوهم — من سِهامٍ ثلاثة سهمانِ
فيك قالت أئمةُ الشعر ما قا — لت بلا رؤية ولا لقيان
كامرئ القيس قَرْمِهم وزهيرٍ — وزيادٍ أخي بني ذبيان
وكأوسٍ فصيحهم ولبيدٍ — وعبيدٍ أخي بني دُودان
كلهم بالمديح إياك يعني — كانياً عنك أو غير كاني[1]

ومثل ذلك أيضاً تلك القصيدة التي افتخر فيها ابن الرومي على النحوي نفطويه، وقد لجأ في آخرها إلى هجائه، ومما يُلحظ هنا أنه أجاد الجمع -في بيت واحد- بين (النوابغ والأعاشي)[2]؛ وهو يرى أن شعره يأتي في مرتبة متقدمة على سائر هؤلاء الشعراء الفحول، بل يرى أنه يفوق في جودته ما قاله النابغة الذبياني، والنابغة الجعدي، وأعشى قيس، وأعشى باهلة وغيرهم من نوابغ الشعر وأعاشيه: [من الخفيف]

١ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ٦/٢٥٠٣-٢٥٠٤.

٢ النوابغ كثيرون؛ أشهرهم: النابغة الذبياني، وقد سبق التعريف، والنابغة الجعدي؛ وهو أبو ليلى قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري، شاعر مخضرم ومفلق، وصحابي من المعمرين، توفي سنة ٥٠هـ. وللاستزادة انظر: معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص٣٥٧ وما بعدها. أما الأعاشي فأشهرهم: أعشى قيس، وأعشى باهلة؛ أما أعشى قيس فهو ميمون بن قيس بن جندب من بني عبد قيس بن ثعلبة الوائلي، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، توفي سنة ٧ ق هـ. وللاستزادة انظر: معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص٢٢ وما بعدها. وأما أعشى باهلة فهو أبو قحفان عامر بن الحارث بن رياح الباهلي من همدان، وقيل إن اسمه عمر. وللاستزادة انظر: معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص٢١ وما بعدها.

هاكَ خذها من شاعر ذي بيانٍ عن مخازيك أيّما نباشِ

لم يقل مثلها النوابغُ قدماً لا ولا كان مثلها للأعاشي[1]

ومن ذلك أيضاً ما ذكره ابن الرومي في الافتخار على عليّ بن سليمان الأخفش، وإعلانه تميزه في الشعر على أقرانه، معتقاً العبدين في القريض معاً؛ ويعني بهما الشاعرين الجاهليين: عبدة بن الطيب، وعلقمة بن عبدة الفحل[2]: [من المنسرح]

تالله ما يأمر السداد بأن أُسْلِمَ عودي لكل مَن خضده

أعتقتُ عبدَيَّ في القريضِ معاً عبدةَ والفحلَ من بني عبده[3]

أما الطريقة **الثانية**: فهي أن يقتصر ابن الرومي على ذكر شاعر جاهلي واحد؛ وقد صنع ذلك مثلاً في قصيدة مدح فيها علي بن عبدالله الشاعر والكاتب المشهور ب(ابن المسيَّب)؛ حيث ادّعى بأن هذا الشاعر الأعجمي الأصل يُضاهي في شعره (امرأ القيس) شاعر العرب كلهم بلا منازع: [من الكامل]

يا ابن المسيَّب عشت في نعمٍ وسلمت من هُلْكٍ ومن عطبِ

١ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ٣/١٢٦٠.

٢الشاعر عبدة بن الطبيب يزيد بن عمرو بن وعلة، من الشعراء المخضرمين المجيدين، والشاعر علقمة بن عبدة بن ناشزة بن قيس التميمي المعروف بعلقمة الفحل، من الشعراء الجاهليين من الطبقة الأولى، توفي قبل الهجرة بعشرين عاماً، وللاستزادة انظر: الشعر والشعراء، ١/٢١٨، ٢/٧٢٧.

٣ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ٢/ ٧٤٢.

يا شاعر العجم الكرام كما أن ابن حُجْرٍ شاعر العربِ[1]

ومثل ذلك قصيدة فضّل فيها ابنُ الرومي الشاعرَ دعبل الخزاعي والنحويَّ عبدالله الخطابي على نخبة من مشاهير الشعراء ونوابغ العلماء، ونلحظ أنه يشير -في سياق ذكْره بعض الشعراء- إلى زهير بن أبي سلمى المزني؛ أحد أبرز شعراء العصر الجاهلي: [من الرجز]

ومنزل الوحي على نبيه
لأنزلنّ الشعر من حبّيهِ
على الخزاعيّ وخطابيّه
مدحاً ترى الحكمة في صبيّه
مُجالسيّ الشخص موكبيّه
فرزدقي الطرْز أغلبيّه
ما شئت عجّاجيه رُوبيّه
لم يتقاصر عن مسيّبيّه
ولا الزهيريّ ولا كعبيّه
بل الكُليبيّ وتغلبيّه[2]

١ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ١/١٤٦.
٢ السابق، ٦/٢٦٢٢-٢٦٢٣.

ولابن الرومي مقطوعة شعرية فاحشة نراه يهجو فيها هجاء مقذعاً أبا العباس أحمد بن عبدالله المعروف ب(العزير)؛ وما ذاك إلا لأنه منكر لأفضليته في الشعر؛ حيث كان يُشيع لدى الناس أن ابن الرومي في منزلة متدنية عن جميع مُتقدّمي الشعراء ومتأخريهم، بيد أن (العزير) غيّر نظرته الدونية تلك بعد أن أوقع شاعرنا الفاحشة فيه!! إلى أن صار يشيع في الناس أن ابن الرومي أشعر من معظم الشعراء، وعلى رأسهم الشاعر الجاهلي الشهير: زهير بن أبي سلمى: [من المجتث]

كان العزير زماناً ... لا درّ درّ العُزيرِ
إن سِيل عن قائل الشع ... ر قرّظ الناس غيري
وكان ذاك لأني ... لم أُهد للشيخ أيري
حتى إذا شِمتُ فيه ... أيراً كجردان عيرِ
أضحى يُري الناس أني ... في الشعر فوق زهيرِ[1]

١ ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ١١١٧/٣-١١١٨. وقد أردتُ من إيراد هذه الأبيات المشينة التأكيد على بذاءة لسان ابن الرومي وفحش شعره أحياناً!!

٢-أعلام الكرم:

جلّ أبيات ابن الرومي-التي تناولتْ الكرام من الشعراء الجاهليين-كانت عن الشاعر حاتم الطائي[١]، رغم ذكره لبعض الكرام من الشعراء العرب الآخرين أمثال: كعب بن مامة[٢] وغيره؛ يقول في قصيدة هجائية لشخص يُدعى خالد القحطبي الطائي، وفيها يزعم أنه على النقيض تماماً من حاتم الطائي الذي هو أجود العرب بلا منازع[٣]: [من الطويل]

أخالد لو كنتَ المكنّى بخالدٍ ... هجوتُك لكن أنت أزرى وأحقرُ
أتحسب ما تأتي من الخزي خافياً ... على الناس لا تكذب نهارُك أنهرُ
إذا طيءٌ عدت بُناة بِنائها ... فحاتمها الباني وأنت المتبِّرُ[٤]

كما أورد ابن الرومي اسم حاتم الطائي في معرض مدحه للأديب والكاتب المعروف في عصره: أبي العباس أحمد بن ثوابة؛ المشهود له بوافر الجود وجزيل الإحسان، وقد قرّر أن أهم ما ينفرد به هذا الرجل هو أنه لا ينتظر

---

١ حاتم الطائي: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، فارس وشاعر وجواد، يُضرب به المثل في الجود، كان من أهل نجد وزار الشام، تُوفي سنة ٤٦ ق هـ، له ديوان شعر مطبوع. وللاستزادة انظر: معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص٧٣ وما بعدها.

٢ كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي، عربيٌ عاش قبل الإسلام، وأصبح شخصيةً عربيةً شهيرةً ضُربت بها الأمثال في الجود وحُسن الجوار؛ حيث كان معه ماء ومعه في الطريق رفيق عطشان؛ فسقاه الماء الذي معه ومات هو عطشًا. انظر: المحاسن والأضداد، الجاحظ، تصحيح: محمد أمين الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٢٤هـ، ص٥٤.

٣ ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ١٠٤٧/٣-١٠٤٩.

٤ السابق، ١٠٤٦/٣-١٠٤٩.

شكر شاكر ولا رداً للجمائل، وقد بالغ شاعرنا في مدحه له؛ حيث نعته بسعة العطاء والتبحُّر في النوال، وفي نهاية المطاف زعم أن حاتماً لو كان حيًّا لما فكّر في مثل عطاء أبي العباس، ولهاب أن يمنح مثل منحه، ولا شكّ أن في ذلك مبالغة وتفضيلاً للممدوح على الجواد حاتم الطائي: [من مجزوء الكامل]

واخصصْ أبا العباس بح ... ر الجود حقاً لا سرابهْ
غيثٌ إذا استمطرتَه ... ألفيتَ من ذهبٍ ذِهابه
ولمَا ابتغى من شاكرٍ ... شُكر النوالِ ولا استثابه
أعطى الذي لو سِيمَ حا ... تمُ أخذَه يوماً لهابَه[1]

وفي معرض مدْح ابن الرومي ليحيى بن علي بن المنجم ونعته له بالكرم؛ نراه يعدّد بعض فضائله؛ ثم يذكر أنه جاد عليه بكثرة نواله، كما غمره بسعة عطاياه، إلى أن استطاع شاعرنا التغلّب على جميع مامرّ به من ضوائق مالية، وما ألمّ به من حوادث الدهر، وما ذاك إلا حين حاربها الممدوح نيابة عن المادح بنداه الذي استمدّه من حاتم؛ حيث إنه كلما وقعت على ابن الرومي مصيبة؛ أغدق عليه يحيى من فائض ماله؛ إلى أن هان عليه جميع ما مرّ به من مصائب وما ألمَّ به من ملمات:[من الخفيف]

لوذعيٌّ له فؤاد ذكيّ ... ماله في ذكائه من ضَريبِ
ألمعيٌّ يرى بأول ضنٍّ ... آخرَ الأمر من وراء المغيب

١ السابق، ١/١٦٢.

ماجدٌ حارب الحوادث دوني بندى حاتمٍ وبأس شَبيبِ[1]

ومن ذلك أيضاً ما ذكره ابن الرومي في معرض مدحه لشخص يُدعى ابن موسى وإكرامه لضيوفه، وما يُقدّمه لهم من علم وقرى ولهو وإمتاع؛ فهو شديد الكرم والجود، والدليل على ذلك أنه إذا قدَّم الزاد للقوم تذكّروا حاتم الطائيَّ في جوده وكرمه الفائض؛ يقول في معرض ذلك: [من الخفيف]

فلمَّا أحلَّ الزَّاد للقوم وقتُه أتى بطعامٍ أذكر القومَ حاتما

قديرٌ من الخرفان كان رضيفُه شِواءً من الرُّقط الثقيل مغارما[2]

ومن روائع ما قال ابن الرومي في مدحه لأبي سهل بن علي النوبختي ووصفه له بأنه ورث الكرم والسيادة عن آبائه الذين كانوا خير عون لبني العباس، كما يصفه بالكتوم لحديث المحدِّث؛ لذا فهو مقصد الحسَّاد، ومن جوده أنك إذا قصدته كأنك قصدت أوس بن سعدى أو حاتماً: [من الطويل]

كأني إذا يمَّمتُه ومحمَّدًا سموتُ إلى أوس بن سعدى وحاتمِ

أرائمتي: رجِّي من الله رحمةً موكَّلةً بالأمَّهاتِ الروائمِ[3]

وحين مدْحه للقاضي يوسف نرى أن ابن الرومي يدّعي أن صفات هذا القاضي هي صفات حاتم نفسها؛ من حيث الكرم للراجي، والعصمة للجار؛ فكل مَن يستنجد به ويسأله فإنما يستنجد بحاتم الطائي ويسأله؛ وما

١ ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ١/١٤٢-١٤٣.
٢ السابق، ٦/ ٢٢٦٣، ٢٢٦٤.
٣ السابق، ٦/ ٢٢٧٠.

ذاك إلا بسبب سرعة نخوته، ووافر جوده، وكثرة عطاياه التي هي كالمرعى الخصيب: [من الخفيف]

كلّ يوم يعلم الناس علماً زائداً كلّ راغب ترغيبَا
شرقتْ شمسه لمسترشديهِ حين لم يألُ غيرها تغريبَا
والذي لم يزل لجارٍ وراجٍ جبلاً عاصماً ومرعىً خصيبا
كلما استنجداه واستمجداه سألا حاتماً وهزّا شبيبا[1]

ومما ذكر ابن الرومي في هجاء شخص يُدعى ابن فراس أنه لم ينل شيئاً من علامات السخاء الثلاثة إلا الجود بالحرمات، وليس المال والنفس مما تميَّز به كرام العرب؛ كحاتم الطائي أو كعب بن مامة المشهورَين بالجود والعطاء وحسن الجوار؛ لذا فهما يُسلمان له بالجود بالحرمات، أما بالنسبة للنوعين الآخرين –المال والنفس– اللذين تميز بهما حاتم وكعبٌ فهما بعيدان عنه كل البعد! وذلك من أقذع الهجاء؛ يقول في معرض ذلك: [من المنسرح]

ثلاثة يُعرفُ السخاءُ بها فقوِّموها ورتِّبوا القِيَما
المالُ والنفسُ وهي تفضُلُهُ والحُرُماتُ التي تفي بهما
وذاك أن النفوسَ تخطر عن هُنَّ وتستمطرُ السيوفَ دما
واللهِ أنْ لو رآه حاتمكم وكعبُكم ألقيا له السَّلَما[2]

---

١ ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ٢/ ٧١١.
٢ السابق، ٦/ ٢٤٠٧.

٣-أعلام الشجاعة والفروسية:

أما حديث ابن الرومي عن الشعراء الجاهليين الأشاوس فقد كان عن ثلاث شخصيات؛ الشخصية **الأولى**: شخصية عنترة بن شداد العبسي[١]؛ فها هو يحضّ عبيدالله بن سليمان –وذلك بعدما عذله بسبب تقديم ابنه القاسم الأصغر على الحسن الأكبر– على إلحاق الثاني بالأول في المرتبة؛ وما ذاك إلا لأنه في شجاعته لا يجارى، بل إن شاعرنا يزعم أن الحسن يغلب –في نجدته وفروسيته– الشاعر الجاهلي المقدام عنترة بن شداد: [من الخفيف]

سبطُك الأكبر المبارك رأياً ... ورُواءً وحقّ طيب ولادِهْ
فاستللهُ على الخطوب تُحققْ ... ما أراك الرجاءُ في إعدادِه
وَلَتدبيرُه أحدُّ من الس ... يف وأمضى في بدئه وعِواده
سَورة الصّلّ في تعاطيه لا بل ... ثورةُ الليث في حشا ألبادِه
نجدةٌ لم تكن لعنترة العب ... سيّ في عصره ولا شدّاده[٢]

أما الشخصية **الثانية**: فهي شخصية جسّاس[٣]؛ فحينما أراد ابن الرومي أن يُؤيّد وجهة نظره حيال فكرة طرحها –وهي تأثّر القوي أحياناً بالضعيف–

١ عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن مراد العبسي، أشهر فرسان العرب في الجاهلية، من أهل نجد، عمّر طويلاً، توفي عام ٢٢ ق هـ، له ديوان شعر مطبوع. وللاستزادة انظر: معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص٢٥٨ وما بعدها.

٢ ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ٤٥٧/١.

٣ جساس بن مره بن ذهل بن شيبان، من بني بكر بن وائل، شاعر شجاع من أمراء العرب في الجاهلية، وهو الذي قتل كليب بن وائل فكان سبباً في نشوب حرب

لجأ إلى حادثة تاريخية شهيرة[1]، وذلك في سياق مقدمة غزلية ذكر فيها أن الفتاة قد تؤثر على الفتى؛ رغم أنها هي الطرف الأضعف، وهو –أي ابن الرومي– الطرف القوي، إلا أنها –مع ضعفها وقوته– قد أثّرت فيه، وليؤكد شاعرنا هذا المعنى أشار إلى أن الضعيف قد ينال من القوي كما نال الشاعرُ الجاهلي الجسّاسُ من الفارس الجاهلي كليب: [من الكامل]

ومن العجائب أن تحل ظُلامة بفتى أناسٍ من فتاة أناسِ

ولقد ينال من القويِّ ضعيفُه ككليبٍ الطاغي وكالجسّاسِ[2]

وحينما يخاطب ابن الرومي عبيد الله بن عبد الله فإنه يمدحه بجودة كتابته وروعة إمضائه، ثم يُؤكد أنها في المضي والتأثير أحدّ من أطراف رمح الشاعر الجاهلي المغوار دريد بن الصمة: [من مجزوء الكامل]

يا عُبيد الله لا زل تَ موقّى كل كيدِ

سرتَ حتى نلتَ أعلى سَورة المجد بأيد

بل تدلّيتَ عليها من شماريخ قُدْيدِ

لم تنلها باحتيالٍ لا ولا مشيٍ رويد

وَلأَقلامك أمضى من شبا رمح دُريد[1]

البسوس، قتل سنة ٨٥ ق هـ. وللاستزادة انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلوم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م، ١١٩/٢.

١ ولمعرفة تفاصيل هذه الحادثة؛ انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م، ٥٢٣/١.

٢ ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ١١٨٨/٣. علماً بأن للشاعر أبيات أخرى في الجساس، لكنني أُقرّ بعدم إدراكي لفحواها.

١ السابق، ٦٩٨/٢. وقديد: موضع قرب مكة، أما قصة رمح دريد فإنها قصة طويلة، حيث خرج دريد في فوارس من بني جشم يريد الإغارة على بني كنانة، فرفع لهم فارس من ناحية الوادي معه ظعينة، فطلب دريد من أحد فرسانه أن يذهب إليه طالباً الظعينة مقابل النجاة بنفسه، ولكن الفارس غلبه وقتله، ولما أبطأ أرسل دريد ثانياً فقتله الفارس، فبعث ثالثاً يستطلع الخبر فقتله الفارس، وقد كُسر رمحه، فظن دريد أن الثلاثة قتلوا الفارس وأخذوا الظعينة، فأقبل بنفسه مستطلعاً، فوجد فرسانه صرعى، وقد شارف الفارس مع الظعينة الحيَّ، فقال له دريد: إن مثلك لا يُقتل، وأعطاه رمحه، ووعده بأن يزورّ عنه، وبعدما وقع في أسر تلك القبيلة –فيما بعد– كان موقفه ذلك سبباً في نجاته مع رفاقه. وللاستزادة حول تفاصيل هذه القصة؛ راجع: كتاب الأغاني، الأصفهاني، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ١٠/ ٣١– ٣٢.

٤-أعلام الوفاء:

لم أجد ابن الرومي يشير إلى هذا المعنى إلا في موضع واحد؛ وهو الموضع الذي هجا فيه رجلاً قابل الإحسان بالإساءة؛ فقد أسدى أبو عبدالإله بن فرات معروفاً إلى أحد الرجال، لكن هذا الرجل أنكر ذلك المعروف، وبالتالي أنشد الشاعر هذه الأبيات التي يشير فيها إلى الشاعر الجاهلي (السموأل)[1] المشهود له بالوفاء بالعهد، والاعتراف بالجميل؛ وهو على النقيض تماماً من ذاك الرجل المهجو: [من الطويل]

وما زلتَ ذا ظلم قديمٍ وظلمةٍ ... من الجهل تخفى عنك أنك تجهلُ
وحسبُك جهلاً أن سعيت مشمراً ... لتجتثَّ أصلاً تحته تتظلّل
سعيتَ بمن أحياك من بعد ميتةٍ ... وأودى وفاءً ما وفاه السّموألُ[2]

١السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي شاعر جاهلي، وحكيم، من سكان خيبر شمال المدينة، كان ينتقل بينها وبين حصن له أسماه الأبلق، وهو الذي تنسب إليه قصة الوفاء مع امرئ القيس، له ديوان شعر مطبوع. وللاستزادة انظر: معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص١٥٦ وما بعدها.

٢ ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ٢٠٨٧/٥. ولمعرفة قصة وفائه؛ انظر: مختارات من مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق: أحمد علي سليم، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص١٦٨.

٥- أعلام الغيبة واليأس من الرجوع:

القارظ العنزي[١] هو أحد أعلام الشعراء الجاهليين الذين ورد ذكرهم في ديوان ابن الرومي؛ وهو شاعر وفارس جاهلي من بني يذكر، وكان غيابه مضرب المثل؛ وقد ورد ذكره في قصيدة مدح فيها ابن الرومي أبا العباس بن ثوابة وهجا فيها الكواكبي الذي يستبعد زوال الفواحش عنه استبعاد قوم القارظ لعودته بعد غيابه الطويل؛ يقول في ذلك: [من مجزوء الكامل]

أنَّى يلاقي القارظَ ال عنزيَّ مَن يرجو إيابه[٢]

١ وهو القارظ اليذكري العنزي من بني يذكر من عنزة بن ربيعة، كان شاعراً وفارساً جاهليّاً، وكان سيد ربيعة، يُضرب به المثل في الغيبة وعدم الرجوع، حيث قتله خزيمة بن نهد القضاعي أثناء الصيد دون علم قومه؛ وذلك لرفضه تزويجه من فاطمة بن يذكر، فافتقده قومه طويلاً، وولوا عليهم كليباً ملكاً لربيعة. وللاستزادة راجع: الأمثال في كتاب الحيوان: دراسة فنية بيانية، رسالة دكتوراة، عبدالعزيز بن محمد بن عويض الشراري، جامعة مؤتة، ٢٠١٥م، ص٦١.

٢ ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ١٦٦/١.

٦-أعلام العفو والصفح:

وهذا المعنى أيضاً لم أجد ابن الرومي يُشير إليه إلا في موضع واحد فقط؛ وذلك في قصيدة اعتذارية وجهها إلى إبراهيم بن المدبّر في أمرٍ بلغه عنه، وفيها ألمح إلى الواقعة التاريخية التي وقعت بين جد الأوس (أوس بن حارثة) الشاعر المشهود له بالجود والتسامح والإحسان إلى الجيران، وبين الشاعر المعروف (بشر بن أبي خازم)[١]، وذلك حين نال بشرٌ أوساً بالأذى، وهجاه في ست قصائد له، فلما تمكَّن منه أوس عفا عنه[٢]، بل إنه أغدق عليه من واسع خيراته وجزيل هباته؛ فتحوّل هجاؤه إلى مديحٍ إلى آخر حياته، وفي هذا الموضع يرجو شاعرنا من إبراهيم أن يحذو حذو أوس في العفو والصفح عنه: [من الكامل]

ومن الغرائب في المكارم والعلى ... صبرُ العزيز لسطوةِ المسكينِ
والعفو عن جانٍ ملكت عقابَه ... طرفٌ من الإنشاء والتكوين
قد كان بشرٌ نال أوساً بالأذى ... فعفا له وصغا إلى التهوين
وحباه خير حِبائه فغدتْ به ... وجناء تَغْشَى حدَّ كلِّ وجين[٣]

---

١ بشر بن (أبي خازم) عمرو بن عوف الأسدي، شاعر جاهلي فحل من الشجعان، من بني أسد بن خزيمة، قتل سنة ٢٢ ق هـ، وله ديوان شعر مطبوع. وللاستزادة انظر: معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص٤٩ وما بعدها.

٢ لمعرفة تفاصيل هذه الحادثة؛ انظر: الشعر والشعراء، ٢٧١/١.

٣ ديوان ابن الرومي، تحقيق د: حسين نصار، ٢٥٧٥/٦-٢٥٧٦.

٧- أعلام الحكمة:

لا شكَّ أن العرب في العصر الجاهلي كانوا يُقدّرون الشعراء والأدباء، ولكن تقديرهم للحكماء منهم كان أعظم وأجلّ، ومن هؤلاء الحكماء الشعراء المعروفين في الجاهلية قُس بن ساعدة الإيادي[١]، وقد ضرب به ابن الرومي المثل في حكمته وفطنته؛ فقال في إحدى مقطوعاته اللاهية؛ كي يثبت أن ما يقول من حِكم لا يقلُّ في قيمته عما قاله قُسّ بن ساعدة: [من الخفيف]

يا أخي يا أبا الحسين وإلفي ... هاكها حكمة كحكمة قُس
من فتًى كلما بلوتَ من الفت ... يان غُسًّا ألفيتَه غير غس[٢]

كما قال أيضاً في موضعٍ آخر ضارباً المثل بحكمة قُسّ بن ساعدة وكذا أكثم بن صيفي في قصيدة أخرى يمدح فيها عبيد الله بن عبد الله؛ وفيها يصفه بالجود والحكمة والإجادة في الشعر بدرجة يسبق فيها قسًّاً وأكثمَ اللذين يعجزان عن مجاراته: [من الطويل]

هو المرسل الأمثال في كل منطق ... يظل بماء العين في الخد يُرسَمُ
من الشعراء الأعذبين قريحةً ... وعلاَّمةٌ بحرٌ من العلم مفعَمُ
إذا ما جرى في حلبة عربية ... تخلَّف عن شأويه قُسٌّ وأكثَمُ[٣]

١قُسُّ بن ساعدة الإيادي، يُعدّ من الحكماء الشعراء ، ومن أشهر خطباء العرب قبل الإسلام، توفي قبل الهجرة بثلاثة وعشرين عاماً، سنة ٦٠٠م، وقد قيل إن النبي ﷺ رآه واستشهد ببعض خطبه؛ وللاستزادة راجع: خزانة الأدب، ٨٩/٢. والبيان والتبيين، ١/ ٥٢.

٢ديوان ابن الرومي، تحقيق د: حسين نصار، ٣/ ١١٦٥.

٣السابق، ٥/ ٢١٠٣.

المبحث الثاني: التناص اللغوي

اتضح في المبحث السابق أن ابن الرومي يعد الشاعر الجاهلي أنموذجاً في الخصال والصفات الفاضلة؛ ولذا اختار جمهرة من الشعراء الجاهليين كي يعبروا عن هذه الخصال والسمات.

وفي هذا المبحث سأحاول أن أكشف كيف أن ابن الرومي يرى أيضاً أن التعبير الشعري الجاهلي يأخذ مكانة مهمة في نفس ابن الرومي، وأنه يراه شكلاً أنموذجياً لغوياً في التعبير عن المعنى الذي يريده، ولهذا تقاطع معه في عدد المرات؛ لأنه يرى فيه المثال الأنموذجي في أداء المعنى المراد.

إن التناص اللغوي يحدث -كما هو معروف- عبر تقاطع النص اللاحق مع النص السابق، ويحكي كل تناص موقفاً معيناً يقف فيه النص اللاحق من النص السابق، وبالتالي فإن هذا الموقف قد يكون موقف الاحتفاء والاحتذاء للنص السابق، وهو ما يعكس مكانة للنص السابق من صاحب النص اللاحق، وربما يعكس موقف النقض والسخرية، وهو ما يصوّر استهانة الشاعر اللاحق بالنص السابق.

إننا عندما نتأمل التناص اللغوي بين شعر ابن الرومي والشعر الجاهلي لا يظهر أي أثر من آثار الاستخفاف أو الاستهانة بذلك النص الجاهلي القديم، بل على العكس من ذلك تماماً؛ حيث يظهر أن ابن الرومي يستدعي النص الجاهلي ويجعله يكشف عن قيمته ومكانته، وكونه أصيلاً في أداء الفكرة والمعنى والتعبير عنهما؛ وهذا يؤكد ما سبق قوله من أن ابن الرومي يرى الشعر

الجاهلي أنموذجاً مثالياً في التعبير عن المعنى المراد بدليل أنه يقترض من عباراته للتعبير عن معانيه.

إن كثيراً من الشعراء يعتمد -حال توظيفهم أبياتاً شعرية أو جزءاً من تلك الأبيات- على أجناس تناصيّة عديدة؛ كالتضمين، والعقد، والملح، والإشارة، ونحو ذلك، بيد أني -من خلال تصفّحي لديوان ابن الرومي- لم أعثر -من تلك الملامح- إلا على ملمحين بلاغيين؛ أحدهما: التضمين، والآخر: التلميح.

١- التضمين:

وهو أن يضمّن الشاعر كلامه شعراً من شعر الغير، مع التنبيه عليه إنْ لم يكن مشهوراً لدى نُقاد الشعر وذوي اللسن، أو عدم التنبيه عليه نظراً لشهرته[١]؛ فمن النوع الأول -وهو التنبيه على اسم الشاعر- ما جاء على لسان ابن الرومي حين تمثّل بعضاً من شطرٍ لامرئ القيس، وذلك في معرض مدحه لعبيد الله ابن سليمان: [من الطويل]

لقد أذكرتَني لامرئِ القيس قَوله: (فإنّك لم يغلبْك مثل مغلّبِ)[٢]

إن الشاعر هنا يذكّرنا بعجز بيت امرئ القيس الشهير:

وإنّك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبك مثلُ مغلّبِ[٣]

وكأنّ ابن الرومي أراد تأكيد معنى أشار إليه امرؤ القيس في بيته سالف الذكر؛ وهو أن ممدوحه لا يجاريه أحد من سائر البشر سواء أكان ذلك في الشجاعة أم كان في الإقدام.

١انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان البديع، السيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة السادسة، د.ت، ص٣٣٨.

٢ ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ٢٥٢/١.

٣ ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٦٩م، ص٤٤.

ومثل ذلك قصيدة افتخر فيها شاعرنا، مورداً شطر بيتٍ للمتلمس[1]؛ حيث يقول: [من الطويل]

(لِذي الحلم قبل اليومِ ما تُقرعُ العصا) وقد قالها من قبليَ المتلمّسُ[2]

حيث إنّ من المؤكد أن الشطر الأول مأخوذ من بيت المتلمس الشهير:

لِذي الحلمِ قبل اليوم ما تُقرعُ العصا وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا ليعلَمَا[3]

وربما رام ابن الرومي من خلال ذلك الاعتزاز برجاحة عقله، وسداد رأيه، ووضعه للأمور في نصابها الطبيعي، ثم التأكيد على معنى ذكره ذاك الشاعر الجاهلي؛ وهو أن الحليم إذا نُبِّه انتبه.

وفي موضع آخر تمثَّل ابن الرومي بيتاً كاملاً وجزءاً من بيت للنابغة الذبياني؛ وذلك في قصيدة مدَح فيها أحمد بن ثوابة، معترفاً فيها بالفضل والنعم المتتالية عليه لممدوحه؛ ومما جاء فيها قوله: [من الطويل]

ولو لم يكن في العرف صافٍ مهنأٌ وذو كدرٍ والعرفُ شتّى المشاربِ
إذاً لم يقل أعلى النوابغ رتبةً لِمقْوَل غسّانِ الملوكِ الأشايبِ
(عليَّ لعمروٍ نعمةٌ بعد نعمةٍ لوالدهِ ليستْ بذاتِ عقاربِ)

---

[1] المتلمس هو جرير بن عبد العزى، أو عبد المسيح، من بني ضبيعة من ربيعة، شاعر جاهلي من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد، مات ببصرى في سورية سنة٥٠ ق هـ، له ديوان شعر مطبوع. وللاستزادة انظر: معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص٣١٨ وما بعدها.

[2] ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ١٢٣٣/٣.

[3] ديوان المتلمس، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، نشر: جامعة الدول العربية،١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، د.ط، ص٢٦.

وما عقربٌ أدهى من البين إنه له لَسعةٌ بين الحشا والترائبِ
ومن أجل ما راعى من البين قوله (كِليني لهمٍّ يا أميمة ناصبِ)[1]

إن البيت الثالث بأكمله، والشطر الثاني من البيت الخامس-من مجموع هذه الأبيات- يذكراننا ببيتي النابغة ذائعي الصيت:

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصبِ وليلٍ أُقاسيه بطيءِ الكواكبِ
عليَّ لعمروٍ نعمةٌ بعد نعمةٍ لوالدهِ ليستْ بذاتِ عقاربِ[2]

وكأنّ ابن الرومي أراد -حين تمثّله بعض معاني هذين البيتين-الاعتراف بأفضال ممدوحه، والإقرار بمننه التي لا تزال تترى عليه حتى لحظة إنشاده هذه القصيدة، مثلما اعترف النابغة بأفضال عمرو بن الحارث.

ومن النوع الثاني-وهو عدم التنبيه على اسم الشاعر؛ نظراً لشهرة البيت أو بعضه- ما تمثّل فيه ابن الرومي شطراً للأعشى، وذلك في قصيدة داعب فيها مقولة سمعها عن أبي نواس، ومما قاله فيها: [من البسيط]

وقلت للدين إذ أُكِّدتْ معادنُه (ودِّع هريرةَ إنّ الركبَ مُرتحلُ)[3]

إن شاعرنا يشير إلى صدر مطلع معلقة الأعشى:

ودِّع هريرةَ إنّ الركبَ مُرتحلُ وهل تُطيقُ وداعاً أيّها الرجلُ[4]

---

١ ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ١/٢٢٠.

٢ديوان النابغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د.ن، ص٤٠-٤١.

٣ ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ٥/٢٠١٠.

٤ ديوان الأعشى، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٨٠م، د.ط، ص١٧.

وربما جاء تضمين ابن الرومي لبيت الأعشى سالف الذكر لقفل قصيدته بهذا الشطر الشهير، ومِنْ ثَمَّ إنهائها ووداع متلقيه.

ومما ورد في شعر ابن الرومي مجيزاً بعض الأبيات للنابغة الذبياني، حيث أورد ثلاثة أبيات؛ منها ما جاء بنصّه، وأورد بعضاً آخر مع تصرّف يسير فيها، مستشهداً على نوائب الدهر التي تترى؛ فلا تجعله يهنأ بعيشٍ ولا مال؛ يقول راثياً شخصاً يقال له ابن زرعة: [من البسيط]

لا يهنئ الناس ما يرعون من كلأ وما يُريحون من أهلٍ ومن مال
بعد ابن زُرعة الثاوِي ببلقعةِ أمسى ببلدة لا عمّ ولا خال
حسب الخليلين نأيُ الأرض بينهما هذا عليها وهذا تحتها بالي[1]

وهو بذلك يُضمّن أبيات النابغة التي قالها يرثي أخاه لأمه عاتكة بنت أنيس الأشجعي:

لا يهنئ الناس ما يرعون من كلأ وما يَسوقون من أهلٍ ومن مالِ
بعد ابن عاتكةَ الثاوِي على أبوى أضحى ببلدة لا عمٍّ ولا خالِ
حسبُ الخليلين نأيُ الأرضِ بينهما هذا عليها وهذا تحتَها بالي[2]

وكأنه هنا يذكر ما رُزئوا به من مصائب الدهر وتقلبات الزمان بعد موت ابن زرعة؛ كالذي رزئ به النابغة حينها؛ فالناس مهما توافرت لهم أسباب الحياة السعيدة فلا يهنأ لهم بال، ولا تستقر لهم عيشة.

١ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ٥/١٩٦٥- ١٩٦٦.

٢ديوان النابغة الذبياني، ص ١٨٨.

٢- التلميح:

وهو أن يشير الناظم في بيتٍ له إلى قصة معلومة، أو نكتة مشهورة، أو بيت شعر حُفظ لتواتره، أو إلى مثلٍ سائر يجريه في كلامه على جهة التمثيل[١]، يقول ابن الرومي في قصيدة مدح فيها رجلاً يسمّى عبيد الله بن سليمان، لكنه عذله في ثناياها، وما ذاك إلابسبب تقديم ابنه القاسم على الحسن، ثم بعد ذلك حَضّه على إلحاقه به في المنزلة: [من الخفيف]

هاكَها لا يَضيرُها أنّ جِلفْاً لم يقلها مُزمّلاً في بجادِهْ[٢]

إن شاعرنا ابن الرومي يُشير هنا إلى بيت امرئ القيس الشائع:

كأنّ أباناً في أفانينَ ودقِهِ كبيرُ أناسٍ في بِجادٍ مُزمّلِ[٣]

إنني أعتقد أن ابن الرومي أراد من ممدوحه أن يرعي سمعه جيداً لما ورد في قصيدته تلك من نصائح وتوجيهات حول مرتبة ولديه كليهما، ثم إنه أراد التأكيد على أن هذه النصائح والتوجيهات لم تصدر حتى من امرئ القيس المشهود له بجزالة الشعر، وقوة المعاني.

---

١ انظر: معجم البلاغة العربية، د.بدوي طبانة، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، د.ط، ٢/٨٠٠.

٢ ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ٢/٧١٤. ويُريد بالجلف: امرأ القيس.

٣ ديوان امرئ القيس، ص٢٥.

كما يقول في قصيدة مدح فيها إسماعيل بن بلبل، وقد صدّرها بمقدمة غزلية، إلى أن وصل فيها إلى قوله:[من الكامل]

روّيتُ سامعتيّ من ترجيعه بيتي زيادٍ في سقوط نصيفهِ[1]

وابن الرومي يشير في هذا البيت إلى بيتي النابغة الذبياني ذائعي الصيت:

سقطَ النّصيفُ ولم تُردْ إسقاطَهُ فتناولتُه واتّقتَنَا باليدِ

بمخضّبٍ رَخصٍ كأنّ بنانَهُ غممٌ يكادُ من اللطافةِ يُعقدِ[2]

وكأن ابن الرومي أراد التغني بما شنف أذنيه من كلام عذب سمعه من إحدى عشيقاته، وربما ذكّره ذلك بقصيدة النابغة الغزلية الملقبة ب(المتجردة)؛ وهي التي استمدّ منها بعض معاني بيته الآنف الذكر.

ومن ذلك أيضاً ما رُوي عن ابن الرومي في معرض مدحه لعبيد الله بن عبد الله الذي لا يتوقّف عطاؤه عليه، خاصّة بعدما نكبه الدهر، وأفسد ماله، وأعلَّ جسده: [من المنسرح]

أخنى على لِمّتي ويُتبعها ديباجتي غيرَ منتهٍ كَلَبُه[3]

وهو يُشير في ذلك إلى قول النابغة: [من البسيط]

أمستخلاءً وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد[4]

---

١ ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ١٥٨٧/٤.

٢ ديوان النابغة، ص٩٣.

٣ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ١/ ٣٠٠.

٤ ديوان النابغة، ص ١٦.

حيث يتضح أن ابن الرومي يبكي حالته وما ألم به، وحينها تذكّر بيت النابغة الذي بكي الديار التي خلت من أهلها، وقد نكبها الدهر وأتى على أهلها كما أتى على (لبد)، وهو اسم نسرٍ زعموا أنه آخر نسور لقمان السبعة[1].

١ السابق: ص ١٦، وخزانة الأدب، ٤/ ٥.

خاتمة

وبعد، ومن كل ما سبق؛ فقد لاحظنا أن ابن الرومي يعدّ الشاعر الجاهلي أنموذجاً يحتذى على مستوى الخصال الكريمة والأفعال النبيلة، وقد تجلى هذا في ذكره مجموعة من أعلام الشعر الجاهلي للتعبير عن تلك الخصال والأفعال.

كما أنه يرى أن شعرهم يعد مثالاً أنموذجياً في التعبير عن المعنى الذي يريده، ولذلك جاء التناص معه في شعره عبر أكثر من صورة، وفي هذا دلالة على أنه يعطي هذا التعبير الجاهلي مكانة وقيمة، بحيث يراه الطريقة الأمثل أحياناً في التعبير عن فكرته ومراده.

وبالتالي فإن ابن الرومي حينما يُورد أسماء الشعراء الجاهليين فإن له مآرب شتى وغاياتٍ عديدة من إيراده أسماء بعض الشعراء الجاهليين؛ فقد يأتي الشاعر بأسماء مجموعة من الشعراء الجاهليين الفحول؛كي يُبرهن على أن ما قاله أولئك الشعراء من مديح فهو لممدوحه فحسب؛ نلحظ ذلك في قصيدته التي هنّأ فيها عبيد الله بن عبد الله بأحد المهرجانات، وربما يأتي باسم الشاعر الفحل من باب إعلان التفوّق أو المفاخرة عليه؛حيث صنع ذلك أكثر من مرة؛ منها حين افتخر تارة على نفطويه، وتارة أخرى على العزيز، وتارة ثالثة على علي الأخفش.

وقد يأتي ابن الرومي باسم الشاعر الجاهلي الفحل؛كي يقرّر بأن أحداً من ممدوحيه قد يوازي ذلك الشاعر وربما يضاهيه؛ نجد ذلك واضحاً في أبيات

مدح فيها الشاعر الأعجمي ابن المسيب، أو أبيات مدح فيها الشاعر دعبل الخزاعي والنحوي عبد الله الخطابي.

وربما جاء ابن الرومي باسم الشاعر الجاهلي من باب الإعجاب بأحد أفعاله النبيلة، أو التغني بإحدى خلاله الكريمة؛ كصفة الكرم مثلاً؛ نجد ذلك واضحاً في ترديده لاسم حاتم الطائي في أكثر من موضع، وذلك عند حديثه عن كرم أحمد بن ثوابة، ويحيى بن المنجم، والقاضي يوسف، وابن موسى، والنوبختي، وربما جاء ابن الرومي باسم حاتم الطائي وذلك في معرض مقارنته بشخص آخر من القبيلة ذاتها الذي هو على النقيض من ذلك تماماً؛ صنع ذلك حينما هجا القحطبي الطائي.

وربما جاء ابن الرومي باسم الشاعر الجاهلي من باب المقارنة بين شخصيتين إحداهما جاهلية والأخرى معاصرة له؛ فعل ذلك مثلاً في حديثه عن رمز الشجاعة؛ حيث قارن شجاعة الحسن -وهو أحد أبناء ممدوحه عبيدالله بن سليمان- بشجاعة عنترة العبسي، وحين وصَف ابن الرومي جودة كتابة عبيدالله بن عبدالله وروعة إمضائه فإنه يرى أنها أحدّ من رمح دريد بن الصمة، وإذا كان الضعيف قد يؤثّر في القوي-كما أثّرت إحدى الفتيات على شاعرنا- فإن هذا ما كان من الشاعر الجسّاس مع الفارس كليب.

أما عند حديثه عن خلة الوفاء فقد صبّ ابن الرومي جام غضبه على رجل أسدى ابنُ الفرات إليه معروفاً لكنه قابله بالإساءة، وحينها نبّه إلى أن هذا الرجل لم يقتدِ بالسموأل المشهود له بالوفاء منذ غابر العصور.

وبالنسبة لحديثه عن الغيبة واستبعاد الرجوع فقد أشار ابن الرومي إلى أن مهجوه (الكواكبي) قد هجرته المكارم، ويستبعد رجوعها إليه كما استبعدت ربيعة عودة ملكها وشاعرها القارظ العنزي بعد مقتله وغيابه دون علمهم بذلك.

وأما حديثه عن العفو والصفح فقد نظم ابن الرومي قصيدة اعتذارية وجّهها إلى إبراهيم ابن المدبر أشار فيها إلى بشر بن أبي خازم الذي نال أوساً بالأذى، لكن الأخير قابل تلك الإساءة بالعفو والصفح عنه.

وأخيراً حينما يستشهد شاعرنا بأحد شعراء الحكمة من العصر الجاهلي كقس بن ساعدة الإيادي فإنه يُدلل على حكمته –أي ابن الرومي– وحنكته في القول والأمثال مثله في ذلك مثل حكماء العرب في سالف الأزمان، كما استشهد على فطنة وحكمة ممدوحه عبيدالله بن عبدالله، وأنه قد سبق قس بن ساعدة.

وحين نأتي للحديث عن توظيف ابن الرومي لشيء من شعر الجاهليين أو بعض مضامينهم فقد يكون أيضاً لمآرب شتى وغايات عديدة؛ منها تأكيد معنى سبقه إليه شاعر جاهلي؛ وهو أن ممدوحه لا يجارى إنْ في الشجاعة أو في الإقدام؛ صنع ذلك حين مدَح عبيدالله بن سليمان، ومنها التأكيد على أن الحليم إذا نُبِّه انتبه، جاء ذلك في قصيدة افتخر فيها شاعرنا، أو الاعتراف بأفضال ممدوحه عليه، صنع ذلك حين استشهد بمعان ذكرها النابغة الذبياني في معرض مدْح ابن الرومي لأحمد بن ثوابة، أو من أجل قفل قصيدته وإنهائها

ومِنْ ثَمَّ وداع متلقيه، وقد جاء ذلك بعد تضمينه بيتاً للأعشى، كما ضمَّن بيتاً بنصِّه مع أبياتٍ أخرى بتصرفٍ يسيرٍ للنابغة الذبياني مستشهداً بحوادث الزمان التي تترى على الأهل والأموال، كما ذكرها النابغة في معرض رثاء أخيه وأمه ونكبات الدهر المتتالية عليه.

وربما أراد ابن الرومي من ممدوحه أن يرعي سمعه جيداً لما أورد في إحدى قصائده من نصائح وتوجيهات، وحينها أكّد أن هذه النصائح والتوجيهات لم تصدر حتى من امرئ القيس المجرب الخبير، صنع ذلك في قصيدة مدح فيها عبيدالله بن سليمان، وقد يريد شاعرنا التغني بما شنف أذنيه من كلام عذب سمعه من إحدى عشيقاته، وقد ذكّره ذلك بإحدى قصائد النابغة، جاء هذا المعنى في معرض قصيدة مدْحية لإسماعيل بن بلبل؛ وهي التي صدّرها بمقدمة غزلية، وفي قصيدة مدح فيها ابنُ الرومي عبيدالله بن عبدالله تذكّر ابن الرومي -حيما نكبه الدهر وأتى على عافيته وأمواله- ما استشهد به النابغة الذبياني في بكائه على أخيه، ووصفه الديار وخلوها من أهلها، مثلما أتى الدهر على (لبد) النسر السابع للقمان!

ثبت المصادر والمراجع

١- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلوم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.
٢- الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
٣- الأمثال في كتاب الحيوان: دراسة فنية بيانية، عبد العزيز محمد بن عويض بن الشراري، رسالة دكتوراة، جامعة مؤتة، ٢٠١٥م.
٤- البيان والتبيين، الجاحظ، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٨م.
٥- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٧٥م.
٦- جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة السادسة، د.ت.
٧- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م.
٨- ديوان الأعشى، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٨٠م، د.ط.
٩- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٦٩م.
١٠- ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١١- ديوان ابن الرومي، تحقيق: د.حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، نشر: وزارة الثقافة المصرية، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، د.ط.
١٢- ديوان ابن الرومي، شرح وتحقيق: عبدالأمير علي مهنا، دار الهلال، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م. د.ط.

١٣- ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م، د.ط.
١٤- ديوان المتلمس، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، نشر: جامعة الدول العربية، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، د.ط.
١٥- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت.
١٦- ابن الرومي، أحمد خالد، الشركة التونسية، تونس، ١٩٧٧م، د.ط.
١٧- ابن الرومي، حياته وشعره، روفون جست، ترجمة: د.حسين نصار، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
١٨- ابن الرومي حياته من شعره، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٦٨م.
١٩- ابن الرومي في الصورة والوجود، د.علي شلق، المؤسسة الجامعية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٢٠- ابن الرومي، محمد عبدالغني حسن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م، د.ط.
٢١- سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٢٢- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٥٨هـ- ١٩٧٧م.
٢٣- الكامل، ابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م، د.ط.
٢٤- كل ما قاله ابن الرومي في الهجاء، د.نازك سابا يارد، دار الساقي، لندن، ١٩٨٨م، د.ط.
٢٥- المحاسن والأضداد، الجاحظ، تصحيح: محمد أمين الخانجي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٢٤هـ.

٢٦- مختارات من مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق: محمد علي سليم، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، د.ط.
٢٧- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٢٨٢هـ.
٢٨- معجم البلاغة العربية، د.بدوي طبانة، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م. د.ط.
٢٩- معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، د.عفيف عبدالرحمن، دار العلوم، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، د.ط.
٣٠- معجم الشعراء، المرزباني، تحقيق: د. فاروق أسليم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
٣١- معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، د.عفيف عبدالرحمن، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، د.ط.
٣٢- من أروع ما قاله ابن الرومي، إميل ناصيف، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٣٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠م، د.ط.